نظرية تضافر القرائن لتمّام حسّان وتطبيقاتها في القرآن الكريم.

سوسن معافة.

جامعة باجي مختار عنابة

Résumé :

Notre article a pour centre d'intérêt les études du chercheur égyptien Tamem Hassen qui s'est lancé dans une nouvelle description de la langue arabe sur la base des hypothèses de la linguistique descriptive.

ملخص المقال :

ترتبطُ نظرية تضافر القرائن بعالم اللغة المصري تمام حسّان، حيث أعاد وصف اللغة العربية انطلاقا من فرضيات البحث الجديدة المبنية على أسس اللسانيات الوصفية، انطلقت فكرة التجديد عنده من نقدِ نظرية العامل التُراثية، ثم انتهى إلى عدّنظرية تضافر القرائن البديلَ عن نظرية العامل، فأقام نظريته على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية، التي عدّها الفكرة المركزية في النحو العربي، وقد ضمّن هذه النظرية في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها 1958، في هذا المقال سأقف عند هذه النظرية وتطبيقاتها في القرآن الكريم؛ حيث حاول تمام حسان تطبيق هذه النظرية على القرآن الكريم في كتابه "البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني" (1993) بغية فهمٍ أفضل للنص القرآني من خلال العلاقات السياقية، في إطار القرائن المعنوية واللفظية. وعليهأردتُ تسليط الضوء على جهود اللغوي تمام حسان في دراسة القرآن الكريم، مُحاولةً أولا التعريف بالنظرية المستحدثة ثمّ النظر في تطبيقاتها على القرآن الكريم من خلال القرائن اللفظية؛ وهي قرينة الإعراب ثم البنية والرتبة والربط ثمّ قرينة السياق.

استحدث تمام حسّان[1] عالمُ اللغة المصري نظريةً جديدةً أطلق عليها تضافر القرائن، وعدّها البديل عن نظرية العامل النحوية؛حيث أقام نظريته على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية، التي عدّها الفكرة المركزية في النحو العربي، وقد ضمّن هذه النظرية في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها 1958؛فكان أبرزَ عملٍ أراد الإحاطة بجوانب الظاهرة النحوية.

لقيت هذه النظرية صدًى كبيرا في الأوساط البحثية، سواء في مصر أم خارجها،فتناولتها الأقلام بالنقد والدراسة والتحليل. وباعتبار أنّ كل نظرية تحتاج إلى تطبيقٍ لتُثبتَ كفاءتها، قام تمام حسان بتطبيق نظرية تضافر القرائن على أعظم نصٍ؛ وهو النص

القرآني في كتابه البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال، وقبل الحديث عن تطبيق النظرية في الكتاب أرى أنه من الضروري التعريف بالنظرية أولا، ثمّ النظرُ في تطبيقِها على القرآن الكريم.

أولا: نظرية تضافر القرائن

مفهوم القرينة :

لغة : القرينة في اللغة من الاقتران بمعنى المصاحبة، يقال اقتَرَن الشيءُ بغيره، وقارَن الشيءُ الشيءَ مقارنةً وقرانًا واقترن به وصاحَبَهُ، وقد وردت القرينة والقرين في المعاجم بمعان متعددة، فالقرينةُ الزوجةُ، والنفسُ، والناقةُ تُشَدُّ إلى أخرى، والقرين: المُصاحبُ، والنفسُ، والأسيرُ، والبعيرُ المقرونُ إلى آخر[2] ،فمعنى المصاحبة والتلازم هو مدار تلك المعاني .

اصطلاحا :يدور حول المعنى اللغوي، ومدى ارتباط الكلمات بعضها ببعض، سواء كان داخل الجملة أم داخل السياق، ويُرشّح هذا أو ذاك وجود قرينة دالة على المعنى المقصود لفظية كانت أو معنوية.

ويُعدّ تمام حسان من الأوائل الذين حاولوا وضع نظرية واضحة لدراسة النحو العربي في إطار فكرة **تضافر القرائن**،وقد استمدّ أصول فكرته من :

1- التراث اللغوي: حيث استفاد من نظرية التعليق الجرجانية وكذلك استفادته من تقسيم الأصوليين والنحاة للقرائن.

2- اللسانيات : حيث استفاد من المنهج الوصفي لإعادة وصف اللغة العربية بدءا من أفكار

دي سوسير، ومدرسة فيرث السياقية.

للقرائن النحوية عنده خمسة مصادر:

1- النظام الصوتي .
2- النظام الصرفي.
3- النظام النحوي .
4- دلالة السياق .
5- الدلالة الحالية Pragmatic[3].

وقد اعتبرَ تمام حسان "أنّ فهم التعليق◆ على وجهه كافٍ وحده للقضاءِ على خُرافةِ العمل النحوي والعوامل النحويّة؛ لأنّ التعليق يحدّد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويُفسّر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحويّة"[4].

وسبب رفضه لفكرة العامل النحوي، راجعٌ إلى كون المنهج اللغوي الحديث يقوم عنده على أساس ملاحظة اللغة المدروسة نفسها، فعلى عالم اللغة الوصفي أن يقصر نشاطه على الملاحظة، والوصف، والتسجيل، وقد وصل إلى نتيجة مفادها أنّ فكرة " العامل النحوي، وكل ما أثير حوله من ضجّة لم يكن أكثر من مُبالغة أدّى إليها النظر السطحي، والخضوع لتقليد السلف، والأخذ بأقوالهم على علّاتها "[5].

ثانيًا: نقدُ العاملِ مدخلٌ منهجيٌ لبناءنظريةِ تضافر القرائن

عاب تمام حسان عناية نحاتنا في دراساتهم اللغوية القديمة بالمبنى أكثر من عنايتهم بالمعنى، وأنّ دراسة المعنى جاءت لاحقة للنحو العربي، مع النقد الذي وجهه عبد القاهر الجرجاني للنحاة العرب؛ الذين أهملوا المعنى، فسيطرت عليهم فكرة أنّ في زيادة المبنى زيادة في المعنى.

ويرى مصطفى حميدة صاحب كتاب نظامالارتباط والربط في تركيب الجملة العربية أنّ السبب في الاهتمام بالمبنى دون المعنى، أنّهم كانوا يضعون دور المُتلقي في المقام الأول، وهذا الدور للمتلقي يُخالف دور المُتكلّم، فأثناء عملية الاتّصال اللغوي يُحوّلُ "المتكلم المعنى إلى مبنى، والمتلقي يحوّل المبنى إلى معنى، أي أنّ الغاية من عملية الاتصال اللغوي هي نقل المعنى من الجهاز العصبي المركزي لدى المُتكلّم إلى نظيره لدى المتلقي، وما المبنى إلا وسيلة لتلك الغاية فالمعنى هو المهم وهو الغاية من عملية الاتصال، وهو ما يعضُّ عليه المتكلمُ والمتلقي بالنواجذ وهو سيّد المَبنى . أما المبنى فلا يخرج عن كونه وسيلة اتّفق عليها أفراد الجماعة اللغوية لأداء المعنى، فهو وعاء للمعنى، وخادمٌ له. وصحَّة أداء المبنى للمعنى هي غاية ما يسعى إليه علم النحو، أو هكذا يجب أن يكون "[6].

ونظرًا لتركيز نحاتنا على المتلقي فقد انطلقوا من المبنى إلى المعنى، فلاحظوا اختلاف علامات الإعراب التي وُضعت للإبانة عن المعنى، فجعلوا العاملَ جوهرًا مُوجدا لاختلاف المعاني النحوية، لكنّ اهتمام النحاة بالمبنى لا يُلغي اهتمامهم أيضا بالمعنى، والشواهد على ذلك كثيرة؛ فالكتاب لسيبويه يحفل بالشواهد منها ما جاء في تعليل سيبويه لمسألة إلغاء العمل في أفعال القلوب، في نحو (زيدٌ قائمٌ ظننتُ) ؛ فهو يرى أنّ تأخير (ظنّ) معناه أنّ الشكّ قد جاءك بعد ما قضى كلامك على اليقين، أو بعد ما تبتدئ وأنت تريدُ اليقينُ، ثُمَّ يُدركُكَ الشكُّ، فتقول: زيدٌ قائمٌ ... ظننتهُ، وهكذا كقولك أيضا. عبد الله صاحب ذلك ...بلغني . أمّا إذا بَدأتَ كَلامَك على ما في نيّتك من الشكّ أعملت الفعل "[7]، فهذا تعليلٌ يربط العمل بالمعنى، ويتغير كل منهما بتغير صاحبه، فنلاحظ أنّ سيبويه بنى حُكمَه انطلاقا مما يدور في ذهن المُتكلّم؛ أي الانطلاق من المعنى إلى المبنى.

- ويُضيفُ تمام حسان " لقد كانت العلامة الإعرابية أوفر القرائن حظا من اهتمام النحاة؛ فجعلوا الإعراب نظريةً كاملةً سموها نظرية العامل، وتكلّموا فيه عن الحركات، ودلالاتها، والحروف ونيابتها عن الحركات، ثمّ تكلموا في الإعراب الظاهر والإعراب المقدّر والمحل الإعرابي، ثم اختلفوا في هذا الإعراب هل كان في كلام العرب أم لم يكن، وكان لقطرب ومن تبعه من القدماء والمحدثين كلامٌ في إنكار أن تكون اللغة العربية قد اعتمدت حقيقة على هذه العلامات في تعيين المعاني النحوية. حدث كل ذلك في وقت لم تكن العلامات الإعرابية أكثر من نوع واحد من أنواع القرائن بل هي قرينة يستعصي التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديريا أو محليا أو بالحذف؛ لأن العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب"[8].

بعد نقدِ تمام حسان للنظرية النحوية التقليدية المتمثّلة في نظرية العامل أتى بالبديل وهو فكرةُ تضافرِ مجموعة من القرائن تصل بنا إلى معاني الأبواب النحوية، فما هي هذه القرائن ؟

ثالثـا: القرائن النحوية عند تمام حسان

قسّم تمام حسان القرائن النحوية إلى قسمين معنوية ولفظية :

❖ **القرائن المعنوية:**

تتضافر هذه القرائن مع القرائن اللفظية للوصول إلى المعنى النحوي، فبواسطتها يُدرك القارئ العلاقة بين عناصر الجُملة كعلاقة :

1- **الإسناد** : وهي العلاقة التي تقوم بين المسند والمسند إليه؛ فهما الركنان الأساسيان اللذان تتألف منهما الجملة ،كعلاقة المبتدأ بالخبر، والفعل بفاعله، والفعل بنائب فاعله ..

2- **التخصيص** : وهي علاقة سياقية كبرى تتفرع منها قرائن معنوية أخصّ منها، وتدلّ كل قرينة على معنى خاص، فتكون قيودًا على علاقة الإسناد؛ إذ يُعبّر كل منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث، الذي يشير إليه الفعل أو الصفة، على نحو التعدية، الغائية، المعية، الظرفية، الملابسة، التحديد والتوكيد، التفسير، الإخراج، المخالفة.

3- **النسبة** : هي قرينة معنوية كبرى، تدخل تحتها قرائن معنوية فرعية ، ومعنى النسبة غير معنى التخصيص؛ لأنّ معنى التخصيص تضييق، ومعنى النسبة إلحاق لها، والمعاني التي تدخل

تحت عنوان النسبة وتُتَّخذُ قرائنًا في التحليل والإعراب، وفي فهم النص بصورة عامة هي ما نسمّيه حروف الجر ومعها معنى الإضافة[9].

4- **التبعيّة** : يرتبطُ فيها التابع بالمتبوع، ويندرج تحتها أربع قرائن هي النعت والعطف والتوكيد والإبدال.

القرائن اللفظية: وهي ما يُستدلّ به على المعنى النحوي، ومن القرائن اللفظية قرينة البنية والإعراب والربط والرتبة والتضام، وكذلك قرينة السياق؛ التي تُعدّ كبرى القرائن اللفظية، بحيث تتضافر هذه القرائن لتعيين الوظائف النحوية؛ فالفاعل مثلا لا يُعرف بالرفع فقط وإنما يعرف به وبالاسمية والتأخر عن الفعل وكون الفعل مبنيا للمعلوم، بالإضافة إلى قرينة معنوية أخرى هي دلالة هذا الاسم على من فعل الفعل أو قام به، وسنفصل أكثر في كل قرينة لفظية في حديثنا عن البيان في روائع القرآن.

رابعًا: البيان في روائع القرآن

صدر كتاب تمام حسّان **"البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني"** في طبعته الأولى سنة 1993 عن دار الكتب القاهرة- مصر ، متضمنًا 610 صفحة، وقد قُسّم إلى قسمين، القسم الأول خصّصه تمام حسان للدراسات اللغوية من خلال القرائن اللفظية، أمّا القسم الثاني فللدراسات الأسلوبية، مع مقدمة حدّد فيها مجموعة من المصطلحات كمفهوم المبنى والمعنى الوظيفي، المعنى المعجمي، القرينة اللفظية والقرينة المعنوية وقرينة السياق والرخصة والأسلوب العدولي.

ولكي يحقق تمام حسان غاياته من البحث ومن دراسة لغة وأسلوب القرآن الكريم فقد اعتمد في الجزء الأول من الكتاب الخاص بالدراسة التركيبية على نظرية تضافر القرائن، وقد فصلنا الحديث عنها سابقًا، حيث طبّق على القرائن اللفظية فقط دون المعنوية،أما الدراسة الأسلوبية فقد اعتمد فيها المنهج الأسلوبي .

وكان تمام حسان يَعمَدُ في تطبيق القرائن اللفظية على القرآن الكريم إلى عرضٍ مُفصّلٍ للقرينة من حيث التعريفِ بها وأنواعها، ثمّ الاستشهادِ بآياتٍ من الذكرِ الحكيمِ للاستدلال بها على ما ذهب إليه.

❖ **القرائـــن اللفظيـــة في القرآن الكريم**

إنّ الدراسة اللغوية وهي القسم الأول من هذا الكتاب تتمّ من خلال تطبيق نظرية تضافر القرائن على القرآن الكريم، فقد طبّق تمام حسّان على القرائن اللفظية دون المعنوية

وهي "الإعراب، البنية، الرتبة، التضام، الربط، وقرينة السياق، رغم إقراره بأن كل القرائن تتضافر لإفادة المعنى، لهذا كثيرا ما نجدهُ يُدمج القرائن المعنوية أثناء حديثه عن اللفظية، ولا نجد تبريرًا لفصله بينهما في التطبيق، خاصة أنه عابَ على نحاتنا الاتّجاه نحو المبنى ودعا في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها إلى التركيز على المعنى، والقرائن اللفظية تتجّه أساسا نحو المبنى.

1- قرينة الإعراب في التركيب القرآني: الإعراب في معناه اللغوي هو البيان والإفصاح، وهذا المعنى له علاقة بمعناه الاصطلاحي؛ حيث عرّف النحاة الإعراب بأنه:

- تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا.
- أثرٌ ظاهرٌ في اللفظ أو مقدّر يجلبه العامل المقتضي له في آخر الكلمة التي هي اسم لم يُشبه الحرف أو فعل مضارع لم تتصل به نون الإناث، ونون التوكيد.

عاب تمام حسان في إطار نظرية تضافر القرائن تمسّك النحاة بفكرة العامل دون نظرٍ إلى القيم الأسلوبية للجملة، وقد حدث ذلك بصورة خاصة في فهمهم للمصادر المنصوبة على الإنشاء، والتي عدّوها منصوبة بواجب الحذف، تمسكًا منهم بفكرة العامل النحوي، مثل قوله تعالى: **(إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ)** (الذاريات25) حيث قدّر النحاة للمصدر ناصبا فيقولون أن أصله (نُسلّم سلامًا) وهكذا يتحول المعنى رأسًا على عقب من الإنشاء إلى الخبر، فلو كان القصد خبرا لارتفع المصدر الأول كما ارتفع المصدر الثاني (قال سلامٌ قومٌ منكرون)؛ لأنّ المصدر الثاني مرفوعٌ على الإخبار؛ لأنه استجابة لإنشاء التحية، ويكفي في هذه الحالة أن نقول أنّ (سلامًا) مصدر منصوب على الإنشاء.

2- قرينة البنية في التركيب القرآني:

يقصُدُ تمام حسّان بقرينة البنية دلالة صورة الكلمة على المعنى النحوي، فالبنية هي مفهوم صرفي لا ينطق، وليست هي الكلمةُ ذاتُ المعنى المُفرد[10]، وهذه الصورُ - سواء كانت صور للكلمات المعجمية المعروفة باسم الصيغ، أو الصور الذهنية للكلمات التركيبية – تُعدُّ إحدى القرائن التي يتّضح بها المعنى النحوي، وهي محدودة العدد وذلك بإحصائنا للصيغ مجردها ومزيدها والكلمات التركيبية ، بينما عددُ المباني يفوق عددَ المعاني الوظائفية التي تُعبّر عنها ، وهذا ما سمّاه تمام حسّان تعدّد المعنى الوظيفي للمباني، ويمكن التمثيل بتعدد المعاني الوظيفية ل "لا" :

تعدّد معاني "لا": حيث تتعدّد من نفيٍ إلى دعاءٍ ونهيٍ وزيادة

وظيفةُ "لا" الأصلية هي النفي ولها صور عديدة أهمها:

- نافية للجنس: تعملُ عملَ "إن" وتختصُّ بالاسم النكرة الدال على الجنس فيُبنى مَعَها على الفتح نحو قوله تعالى: **(قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ)** (الشعراء50).
- حرف جواب: فتُغني عن جملة الجواب على نحو قوله تعالى: **(قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)** (يونس 16).

إذا جاء الفعل الذي بعد "لا" ماضيًا فمعناها الدُعاء نحو قوله عزّ وجلّ: **(فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ)** (البلد11) ، أمّا عند اقترانها بالفعل المضارع المجزوم فتدلّ على النهي كما جاء في قوله تعالى: **(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ(9)وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ)** (الضحى9و10).

أمّا معنى الزيادة فمثله قوله تعالى: **(فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(75)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)** والزيادة هنا هي زيادة نحوية فقط.

3- قرينة الرتبة في التركيب القرآني:

وهي قرينة نحوية تدلّ على المعنى النحوي، وهي وسيلة أسلوبية أيضًا فهي ‹‹مؤشر أسلوبي ووسيلة ابداع وتقليب وعبارة واستجلاب معنى أدبي››[11] .

تتعلّق الرتبة بموقع الكلمة في التركيب الكلامي؛ فقرينة الرتبة هي "النظام الذي تَشكله الوحدات في سياق أفقي مُحدّد كأن تتقدم وحدة على أخرى، أو تتأخر عنها بشكلٍ ثابتٍ، أو غير ثابتٍ نحو تقدّم العمدة على الفضلة، أو المتبوع على التابع فعلى سبيل المثال: للتوابع مكانٌ ثابتٌ في الجملة فلا تتقدم الصفة على الموصوف، نحو قولنا: (جاء محمدٌ الكريمُ)؛ فالترتيب فيها سياقي ثابت لأنّ (الكريم) لا يمكن أن يسبق محمدًا في حين يجوز تقدّم المفعول به على الفاعل أو الفعل نحو قولنا: (ضرب محمد عليا، ضرب عليا محمد، عليا ضرب محمد)[12].

فموقع الكلمات في التركيب الكلامي يُشكّل النظام الخاص بأيّ لغة ومن بينها اللغة العربية، وقد قسّم تمام حسّان الرتبة إلى قسمين محفوظة، وغير محفوظة.

1- الرتبة المحفوظة: إذ يتحتم أن تأتي إحدى الكلمتين أولا والأخرى ثانيا لا العكس، فهي رتبة في نظام اللغة وفي الاستعمال أيضًا.
2- الرتبة غير المحفوظة: هي رتبة في النظام فقط وقد يَحكُمُ الاستعمالُ بوجوبِ عكسها، كما في تقديم المفعول على الفاعل، في نحو (حيّاك الله)؛ وذلك عند خوف اللبس، أو اتّقاء مُخالفة القاعدة أو الأصل، أو اختلاف المعنى.

ويُشير تمام حسّان إلى كون الرتبة هي قرينة على المعنى؛ لأنّ موقع الكلمة من الكلمة قد يدلّ على وظيفتها النحوية، ويكون ذلك أوضح في الرتبة المحفوظة منه في غير المحفوظة، ويُمدّنا بالمثال التالي للتوضيح: الفرقُ بين (قام زيدٌ) و(زيدٌ قام) فرقٌ في موقع الاسم المرفوع من الفعل، فاختلاف الموقعين جعل (زيدٌ) في الجملة الأولى فاعلا، وفي الثانية مبتدأ ، لكن الذي يُثير الاهتمام هنا هو التزام تمام حسان بنظرية العامل رغم اقراره برفضها؛ (فزيدٌ) الأولى مرفوعة على الفاعلية بتأثير الفعل، فإذا تقدّم الفاعل على فعله، أي أصبح مرفوعًا على الابتداء لأنّ المعمول لا يتقدّم على عامله.

ومن الرتب المحفوظة رتبة الأدوات الداخلة على المفردات، كحروف الجر والمعية والاستثناء والعطف؛ فحرف الجر لا يتقدّم على مجروره، وإن لم تُحفظ رتبة مجموع الجار والمجرور ببقية أجزاء الجملة، كقولنا (توكنا على الله) أو (على الله توكلنا) ، يظلّ حرف الجر سابقا على لفظ الجلالة سواء تأخر مجموعهما في الجملة أم تقدّم.

كما لاحظ تمام حسان شاهدين في القرآن الكريم حيث تقدّمت جملة الحال على عاملها، في حين لم يُجوّز النحاةُ ذلك إلاّ للحال المفردة التي تتقدم على عاملها المتصرّف، كما في قوله تعالى: **(وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)** (هود38)، وقوله **(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)** (هود 42)، وذلك في جملتي (ويصنع الفلك) و(وهي تجري بهم)، فمعنى الحال المُلابسة، ويُعبّر عنه ب "بينما"، فبينما نوحٌ يصنع الفلك سخر منه قومه، وبينما تجري السفينة بهم في موج كالجبال نادى نوح ابنه.

وقد عدّ تمام حسان هذه الشواهد من الشواهد القليلة التي لا يُعتدّ بها على قول البصريين، وخرّجَهَا على أنّها ترخصٌ في قرينة الرتبة، على عادة النحويين في تخريج بعض الظواهر التي لا تتوافق مع قواعدهم، وهذا منهجٌ يخالف المنهج الوصفي الذي اعتمده صاحب البيان، فإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الاحتجاج في النحو ، فمن المفترض الانطلاق من النص للوصول إلى القاعدة لا العكس، وشاهدٌ واحدٌ من القرآن الكريم كافٍ لإعادة النظر في القاعدة، وليس اللجوء إلى تخريجاتٍ لتُناسب القاعدة.

أمّا الرتبة غير المحفوظة: فهي رُتبة في النظام لا في الاستعمال لتعرضها لقواعد النحو، ثمّ للاختيارات الأسلوبية كالتقديم والتأخير، ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة (رتبة المفعول من الفعل ورتبته من الفاعل، ورتبة المبتدأ من الخبر، ورتبة الظروف وغيرها)، وقد تقتضي أحيانا القاعدة النحوية بحفظها لأجلِ أمنِ اللبس أو اتّقاءِ مخالفةِ القاعدةِ ،كما في (ضرب موسى

عيسى) و(أخي صديقي). أما إذا أُمِنَ اللبس فيجوز التقديم والتأخير ، و يجب عكس الرتبة في بعض الأحيان للمحافظة على المعنى أو القاعدة كما في قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** وقوله أيضا **(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)** ؛فالمفعول به (نفسًا) وجبَ أن يتقدّم على الفاعل (إيمانُها)؛ لاتّصال الضمير بالفاعل، كما أنّ رتبة الفاعل هنا تكون بين المفعول به والصفة، فلا يُمكن التقديم ولا التأخير ؛وتقديم الصفة يُضعفُ العلاقة الإسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل؛ فلو قلنا مثلا (يوم يأتي بعضُ آياتِ ربّك لا ينفعُ نفسًا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا إيمانُها) لضعُف التركيب، وهذا التقديم للصفة على الفاعل أكسب التركيب جمالا وحُسنًا.

4- قرينة الربط في التركيب القرآني:

الربط من القرائن اللفظية التي تصل أحد المترابطين بالآخر، فيكون الربطُ بين الموصول وصلته، وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين القسم وجوابه وبين الشرط وجوابه ..، ويتمُّ الربط بالضمير العائد أو بالحرف أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو ب "ال" أو بدخول أحد المترابطين في عموم الآخر[13].

الربط بإعادة الذكر:

فقرينة الربط تدفع التفكّك بين أجزاء الجمل؛ فوظيفة علاقة الربط كما يقول تمام حسان هي إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكورٍ سابقٍ، بواسطة إحدى الوسائل اللفظية، والأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ، ويحدث هذا النمط كثيرًا في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: **(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(71) وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** (سورة التوبة71و72) حيث نلاحظ تكرار لفظ المؤمنون والمؤمنات وكذلك لفظ الجلالة، كما قد تكون إعادة الذكر لسبب فرعي يضاف إلى الربط نحو قوله تعالى: **(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (آل عمران78) فقد تكرر لفظ الكتاب ولفظ الجلالة ثلاث مرات، مع تقارب المسافة وإمكان استعمال الضمير (لتحسبوه منه)، وقد يكون لأمن اللبس كما في قوله تعالى: **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا**

نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (المائدة 38)، فلو وضع الضمير موضع ثاني لَفظَي الجلالة، لأصبح جُملةً حاليةً والتقدير "نكالا من الله وهو عزيز حكيم"، ولَكَان المعنى أنّ كسبهما النكال مُرتبطٌ بحال عزة الله وحكمته تعالى عن تغير الأحوال.

وقد يُغني إعادةُ المعنى عن إعادةِ اللفظِ كما في باب المبتدأ والخبر في قوله تعالى: **(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** (يونس10) وقوله: **(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)** (الأحزاب 44) فالتحية هي السلامُ والسلامُ هو التحيّة، وصَلُحَ ذلك لربط الخبر بالمبتدأ؛ لأنّ الخبر هو عين المبتدأ والخبر وصفٌ للمبتدأ في المعنى.

وهناك تكرارٌ بإعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلّق به فاصلٌ طويلٌ جعلهُ مَظنّةَ النسيان أو ضعّفَ العلاقة بما يتبعه من خبرٍ أو فاعلٍ أو جوابٍ، ومنه قوله تعالى: **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)** (البقرة 89) حيث تكررت عبارة "جاءهم" لتقوية الارتباط بين عبارة (لمّا جاءهم) وجوابها، وقوله أيضًا: **(وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)** (البقرة253)، فتكررت عبارة (ولو شاء الله) لسببين:

- لِتَوقّي تَوالِي استدراكين بـ: "لكن" لا يُدرَى ارتباط ثانيهما بعناصر الجملة.
- للتذكير بصدر الآية بعد أن بعد به العهد في الكلام .

- **الربط بالضمائر:**

- الربط بضمائر الأشخاص: حيث يكون الربط بالضمير أيسر في الاستعمال من إعادة الذكر، وأدعى إلى الخفة والاختصار والاقتصار، وشرطُ الإضمار أن يكون الضمير مُطابقًا لمرجعهِ في اللفظ والقصد، فالمطابقة في اللفظ كما في قوله تعالى: **(وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)** (ص 24)؛ فالفتنة وقعت على سيدنا داوود عليه السلام والضمير يعودُ على داوود عليه السلام، فلو أظهر لقُبح ذلك.
- أما المطابقة في اللفظ دون القصد فمثله قوله عزّ وجلّ: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (آل عمران 26)، فلفظة الملك تكررت ثلاث مراتٍ، الملك الأولى هي سلطة مُعطاة، والملك الثانية سلطة غيرها مسلوبة، والملك الثالثة هي ملكوت الله تعالى، فاختلف القصدُ في اللفظ المُكرر، ومن ثمّ يمتنع الإضمار.

- الربط بالموصول: ويكون عند إرادة وصف المرجع بصفة تدلّ على مدحه أو ذمه، بحيث يحلّ الضمير الموصول في موقع ضمير شخصي ، وذلك لتفادي إعادة الذكر، كما في قوله تعالى: **(ولَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)** (الأنعام 7)؛ أي لقالوا ، وكذلك نجدُ في قوله عزّ وجلّ: **(ومِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) (الأنعام 25)**؛ أي يقولون، وقد عُدِلَ عن الضمير المتصّل إلى الضمير الموصول لإرادة ذمّهم بالكفر.
- ويتمُّ الربطُ أيضًا بالصفة التي دخلت عليها "ال" الموصولة كما في قوله تعالى: **(من كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ)** (البقرة 98) أي لهم، وفي قوله أيضا: **(وإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا)** (النساء 61) أي رأيتهم.
- ويكون الربط أيضا بواسطة لفظٍ فيه مدحٌ أو ذمٌ ولا يكون من الصفات المشتقة على نحوِ قوله عزّ وجلّ: **(الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)** (النساء76) أي فقاتلوهم.
- **الربط بواسطة "ال" التعريف:** كما في قوله تعالى: **(يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)** (النساء 1) أي أرحامكم. ونجد ذلك أيضًا في قوله عز وجلّ: **(إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا)** (الأحزاب 10) أي زاغت أبصاركم وبلغت قلوبكم حناجركم.

– الربط بالأداة:

- كل أداة داخلة على الجملة لإفادة معنى، فهي رابطة تقوي الصلة بين الألفاظ ويصدق ذلك على أدوات النفي والنهي والأمر والاستفهام والتعجب والشرط ...
- الربط بأداة النفي: كما في قوله تعالى:**(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ)** (البقرة 197) فحرف النفي هنا ينفي كل ما في حيّزه،

ف "لا" نَفَت حلّ كل من الرفث والفسوق والجدال في الحج، نفيا يرتقي إلى مستوى النهي مما يجعل الأسلوب الخبري هنا خبريًا في الشكل إنشائيًا في المضمون .

- الربط بلام الأمر والمضارع إذ لو حذفت اللام من المضارع لضاعت الرابطة بين الأمر وجواب الأمر كما في قولنا " فليعرف كل امرئ قدر واجبه"
- الربط بلا الناهية: كما في قوله تعالى: **(وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ)** (المدثر6) فلو حذفت "لا" لارتفع المضارعان وأصبح لفظُ (تستكثرُ) حالا لا جوابًا.
- الربط بحرف الاستفهام: ويربط حرف الاستفهام بين عناصر الجملة حتى ليصبح كل ما في حيّزه مشمولا بالمعنى العام، الذي عبّر عنه الحرف نحو : ما كان هذا؟ أين كان هذا؟.
- الربط بالشرط : إذ يربط الشرط بين الشرط وجوابه، كما في قوله تعالى: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** (محمد7) فلولا أداة الشرط لارتفع الفعلان، وكذلك في قوله تعالى: **(وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)** (الأنعام107) فلولا وجود الأداة "لو" لتحولت "ما" إلى معنى المصدرية.
- الربط بالقسم : حيث يربط بين القسم وجوابه ومن ذلك قوله تعالى: **(فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)** (الذاريات23).
- الربط بأداة التعجب: على نحو قوله عز وجل: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ)** (القارعة10).

5- <u>قرينة السياق في التركيب القرآني</u>

تتعلّق قرينة السياق بدايةً باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية بالإضافة إلى الدلالات بأنواعها العُرفية والعقلية والطبيعة كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية[14].

لهذا فقد عدّ تمام حسان قرينة السياق كُبرى القرائن؛ لأنّها لا تَعتدُّ بحرفية النص كالقرائن اللفظية بل تعتدُّ بروح النص؛ فبواسطتها نحكم على ما إذا كان المعنى المقصود هو الأصلي أو المجازي، خاصةً عند تعدّد احتمالات المعنى.

وتتدخلُ قرينة السياق عند تعدد احتمالات المعنى ، منها تعدد معنى الأداة ذات الصدارة، وتعدُّد معنى الصيغة والعلاقات النحوية، وكذلك تعدُّد المعنى الوظيفي والمعجمي فهذه أسبابٌ يتعدد المعنى بسببها، والتي تدعوا إلى ضرورة اللجوء إلى قرينة خارجية، وتقوم هذه القرينة على الأسس التالية:

1- **القرينة المبنوية:** أي المتعلقة بالمبنى اللفظي، نحو قوله تعالى: **(وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)** (القلم 51)؛ فـ"إن" مخففة من الثقيلة بدليل من القرائن المحيطة بالتركيب؛ لأن معنى السياق هنا هو التأكيد، وليس شرطًا إذ جاء الفعلُ "يكادُ" مرفوعًا لا مجزومًا، وعدم وجود الرابطة في جواب الشرط، بل وُجدت اللام في خبر "إن".

2- **القرينة النحوية** : من القرائن التي تعتمدُ عليها قرينة السياق نحو قوله تعالى: **(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلً)** (الكهف58)؛ حيث يمكن أن تكون "الغفورُ" خبرًا للمبتدأ، أو تكون "ذو الرحمة" الخبرَ والغفورُ صفةً للمبتدأ، وإمّا أن تكون الجملة "لو يُؤاخذهم" الخبرَ، على اعتبار "الغفورُ" و "ذو الرحمة" صفتين،لكنّ السياق اللغوي المُوالي **(بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلً)** ينفي الاحتمالين السابقين ويُبقي احتمال أنّ الخبرَ هو جملة "لو يُؤاخذهم"؛ حيث لم يُعجّل لهم العذاب بل ضرب لهم موعدا مُقبلا.

3- **اعتماد قرينة السياق على المناسبة المعجمية:** كما في قوله تعالى: **(الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** (آل عمران198)؛ ف "ما" التي في صدر الكلام هي موصولة وليست نافية؛ إذ وضع لفظ الخير بإزاء لفظ الأبرار يحكم بأنها موصولة؛ وذلك لما بين البر والخير من مناسبة معجمية لا يُمكن معها أن يتنافى أحدهما مع الآخر.

4- **كما تقوم قرينة السياق على أساس من المنطق**[15]: نتيجة علاقة المعاني بعضها ببعض كما في قوله تعالى: **(مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)** (هود24)، يُلاحظُ توالي أربعة ألفاظ معطوفة، ويلاحظ "الفارق العقلي" بين الفريقين والعطف هنا هو عطف الصفات لا الأفراد؛ حيث يوجد تقابل ثنائي بين السلبي وهو الأعمى الأصم، وبين الإيجابي البصير السميع، فهما لا يستويان مثلا، ومن العلاقات العقلية الدلالية أيضا قوله تعالى: **(قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)** (هود87)، فالمنطق حسب تمام حسان يقضي أنّ يكون (أن نفعل) مفعولا به للفعل (نترك) وليس للفعل (تأمرك)،والمصدر المؤول معطوف عليه (ما يعبد آباؤنا) ، والاستفهام إنكارٌ لطلبِ تركِ الأمرين معًا.

5- **الظروف الحسيّة والنفسية المحيطة:** ومن ذلك قول الله عز وجلّ: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)** (التوبة34)؛ إذ كان يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المقصود من الكلام من المحيط الاجتماعي، وبمعونة هذه الظروف، أما نحن الآن فإننا بحاجة إلى معرفة سبب نزول الآية حتة تتضح لنا دلالة السياق، وكذلك الحال في معرفة الحالفين من قوله تعالى: **(ويَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ)** (التوبة56) ، والذي آذى النبي من قوله تعالى: **(ومِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (التوبة61)، والذي نهر والديه في قوله تعالى: **(والَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)** (الأحقاف17) ، كلُّ ذلك كان في المحيط الاجتماعي الذي كان يعيش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما قد ترتكز قرينة السياق على العادات والتقاليد كما في قوله تعالى: **(مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)** (المائدة103) حيث كان الذين كفروا يفترون على الله الكذب، وكانت هذه الأنواع من الإبل من تقاليد عبادتهم للطاغوت، ومن هذا القبيل كل ما في القرآن من أخبار الأولين وقصص الأنبياء.

هذه بعض القرائن اللفظية،التي وظّفها تمام حسان في كتابه البيان في روائع القرآن؛ الذي يُعدّ بحق دراسة ثريّة، وإضافة جديدة للدراسات اللغوية و القرآنية ، وتوظيف تمام حسان لنظرية تضافر القرائن في القرآن الكريم لم يكن القصدُ منه تفسير القرآن الكريم، ولا الإبانة عن وجهٍ جديدٍ من أوجه الإعجاز القرآني، وإنّما هي وسيلة بحث جديدة يُمكن أن تكشف عن جماليات النص القرآني ودعوة للنظر إلى القرائن المقالية والحالية في تضافُرها واجتماعها،للوصولِ إلى المعاني النحوية والدلالية.

الهوامش:

(1)- تمام حسان من مواليد سنة 1917 بقرية الكرنك، محافظة قنا، في صعيد مصر، حافظٌ لكتاب الله عز وجل ، متحصلٌ على دبلوم في اللغة العربية بمدرسة دار العلوم سنة 1943، ثم ما لبث أن عُيّن معيدا بها ليرسل بعدها في بعثة علمية سنة 1946 إلى لندن ليتخصص في علم اللغة بمشورة من الدكتور ابراهيم أنيس .
في عام 1949 تحصل على شهادة الماجستير في علم اللغة العام فرع الأصوات اللغوية من معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن تحت عنوان (the phonetics of el karnek dialecte (upper egypt ، دراسة صوتية للهجة الكرنك في صعيد مصر، أما الدكترى فكانت في نفس التخصص نوقشت سنة 1952 تحت عنوان (the phonetics and phonology of an aden of arabic – south arabia – ، دراسة صوتية وفونولوجية للهجة عدن في جنوب بلاد العرب .توفي يوم 11 أكتوبر 2011 ، لمزيد من تفاصيل حياته يُنظر مقال عبد الرحمان حسن العرف ضمن كتاب تمّام حسّان رائدا لغويا، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص من 13 إلى 33.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، عبدالله علي الكبير وأحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، مادة (ق ر ن).

(3)- تمام حسان، الخلاصة النحوية،عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص 22 و23 .

◆ التعليق هو وسيلة المتكلّم لبناء الجملة حيث "يقوم بتعليق دلالات الألفاظ في عقله أولا، وذلك بضمّ بعضها إلى بعض، وترتيبها بحسب معاني النحو، و وفقا لمقدرة المتكلّم اللغوية، فتكون النتيجة نظمها وترتيبها في النطق، أي: التلّفظ بالجملة . فالتعليق تفاعلٌ يتمّ في العقل بين دلالات الألفاظ ومعاني النحو، تنشأ من خلاله علاقات الارتباط والربط بين تلك الدلالات، وذلك من خلال اختيار المتكلّم بين مُمكنات تُتيحها اللغة من حيث دلالات الألفاظ ومعاني النحو، وتتفاوت المقدرة اللغوية بين الأفراد في هذا. أمّا النظمُ فهو نَتاجٌ لعملية التعليق ويُفهم من هذا أنّ التعليق ترتيبٌ لدلالات الألفاظ في العقل، والنظمُ ترتيبٌ للألفاظ ذاتها في الجملة الملفوظة ، هذا مع التسليم بأنّ التمييز بين هاتين العمليتين أمرٌ في غاية الصعوبة، وأنّ المتكلم يُؤديها على حال تكاد تجعلهما عملية واحدة وحين يُوصف النظم بأنه صحيح أو فاسد، أو بأنّه جيّد أو رديءٌ، فإنّما يرجع كلُّ هذا إلى صحة التعليق أو فساده، أو إلى جودته أو رداءته، أي أنّه يَرجع إلى قُدرة المتكلّم على توخّي معاني النحو وأحكامه" مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية لونجمان القاهرة مصر،ط1، 1997، ص 11 .

(4)- تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1994، ص 189.

(5)- المرجع نفسه، ص 207 .

(6)- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجُملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية لونجمان القاهرة مصر،ط1، 1997، ص 19.

(7)- سيبويه ، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1988، ج1،ص 61 .

(8)- تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناها، ص 205 .

(9)- المرجع نفسه، ص 201 .

(10)- تمام حسان، البيان في روائع القرآن،ص29.

(11)- **تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص67.**

(12)- كوليزار كاكل عزيز، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص98.

(13)_ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص213.

(14)- تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 2009. ص 173.

(15)- كقول الشاعر: أنا ابنُ أباة الضيم من آل مالك وإن مالكًا كانت كرام المعادن

فلو كان المعنى على النفي لوقع التنافر ولو جعل الشرط لأصبح الفخر بالنبوة مقيدا باشتراط الكرم من قبيل تحصيل حاصلٍ بواسطة القيد وهو معنى فاسدٌ: فكلّ من التناقض والتحصيل الحاصل من العلاقات العقلية، تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص168.